

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

د. صباح كاظم بحر العامري

مادة : علوم القرآن

المحاضرة رقم 9

حديث الاحرف السبعة

الأحرف جمع حرف، والحرف من كل شيء طرفه وشفيره وخذّه، وَوَاجِدُ حروف التهجي، والناقاة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة، ومسيل الماء 1، : (وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفاً. يقرأ هذا في حرف ابن مسعود، أي: قراءة ابن مسعود)2 ، فالحرف على وفق هذا المنظور هو القراءة ، وهذا ما دأب عليه القراء إذ عدوا حديث الأحرف السبعة متلازماً مع علوم القرآن الكريم من جهة القراءات القرآنية ، وهو ما صرح به جمهور القراء ، كما سيأتي .

وتنطلق الروايات في مجمل كتب السابقين والمتأخرين من رواية للقراءات أو رواية الحديث الشريف والمفسرين بوجود حديث منسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله يخبر أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف ، فمن قرأ بحرف كان مصيباً ومن قرأ بأكثر من ذلك فله ذلك وهو من باب التسهيل على الأمة ، وفي الآتي أهم روايات حديث الأحرف السبعة :

قال أبو عمرو الداني: (حدثنا طاهر بن غلبون قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أحمد بن علي قال حدثنا أبو هشام الرفاعي قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن عبد الله قال : قلت لرجل أقرنتني من الأحقاف ثلاثين آية فأقراني خلاف ما أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لآخر اقرأ فقرأ خلاف ما أقراني الأول فأتيت بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب فقال علي قال لكم : اقرؤوا كما قد علمتم)3.

¹ ينظر لسان العرب 838 مادة "حرف"

² فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني 24/9

³ الاحرف السبعة لابي عمرو الداني ، تح. د. عبد المهيم طحان ، دار المنارة للطبع والتوزيع ، ط.1، السعودية 1997م .

جاء في صحيح البخاري : (عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)4.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يُقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكذت أن أساوره في الصلاة ، فانتظرت حتى سلم، ثم لَبَّبْتُه بردائه ، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت: يا رسول الله، إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئها، وأنت أقرأني سورة الفرقان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله يا عمر.

أقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه . 5

عن أبي بن كعب انه قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء، فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: يا أباي، أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالث ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم.6.

4 ينظر صحيح البخاري / كتاب فضائل القرآن - باب أنزل القرآن على سبعة احرف .

5 ينظر صحيح البخاري / كتاب فضائل القرآن - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف

6 صحيح مسلم بشرح النووي 6 / 98 ط . دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

وعن أبي هريرة انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة)7.

وتأسيسا على هذه الروايات اختلف العلماء في الأداء القرآني خاصة في تفسير هذا الحديث ، وكانوا على مذاهب شتى ، وقد أوصل السيوطي أوجه هذا الحديث إلى أربعين وجها8 ، فالحديث غامض ويحتمل أقوالا كثيرة ، إذ ليس يعلم ما المقصود بالحرف ، وما العلة من كون العلل سبعة وهل أن القصد هو عين العدد أم انه أسلوب عربي يراد منه التكثر ..؟

ومما يزيد من غموض هذا الحديث انه لم يأت حديث آخر يفسر قول الرسول بالأحرف السبعة " هذا على افتراض أن الرواية صحيحة " .

قال ابن العربي: (لم يأت في معنى هذه السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها)9، وقال القرطبي : " وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن جبان السبتي " 10، وربما نتوقف في تعداد ابرز معاني هذا الحديث على ما روى السلف في الآتي :

إنها سبعة أصناف في القرآن ، والقائلين بهذا الرأي يختلفون في تعيين هذه الأصناف وفي أسلوب التعبير عنها والأغلب منهم يرى أنها : أمر ونهي وحلال وحرام ومُحْكَم ومتشابه وأمثال ، ومنهم من يقول إنها : وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج ، ومنهم من يقول إنها : محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص 11 .

إنها سبع لغات ، وتشتمل على لغة : قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن ، على رأي كثير من علماء القراءات.12

7 رواه البيهقي في السنن الصغرى 567/1.

8 الإتيقان في علوم القرآن 45/1

9 البرهان في علوم القرآن 212 / 1

10 الجامع لأحكام القرآن 42/1

11 النشر في القراءات العشر 1 / 24 ، 25 ، وينظر: الاحرف السبعة 28

12 النشر في القراءات العشر 1 / 24 ، وينظر: اللهجات العربية في التراث ، للدكتور احمد علم الدين الجندي ، دار العربية

للكتاب ، 1983م . 144

أن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ المختلفة في كلمة واحدة ومعنى واحد نحو: هلم وأقبل وتعالّ وعجل وأسرع وقصدي ونحوي فهذه الألفاظ السبعة معناها واحد وهو طلب الإقبال .

اختلاف الأسماء إفراداً وتذكيراً وفروعهما: من ذلك قوله تعالى: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) 13 ، فقرئت "أماناتهم" بالجمع والإفراد ، والإفراد هي قراءة ابن كثير .

الاختلاف في تصريف الأفعال من مضارع وماض وأمر: مثاله قوله تعالى: (ربّنا باعدْ بين أسفارنا) 14 ، فقرئ بنصب لفظ "ربّنا" على أنه منادى وبلفظ " باعد " فعل أمر ، وهي قراءة عاصم ونافع ومن وافقهما قرئ " ربّنا باعدْ " برفع : ربُّ ، على أنه مبتدأ وبلفظ " باعدْ " على انه فعلاً ماضياً وهي قراءة يعقوب .

الاختلاف بإبدال حرف قريب من مخرج حرف آخر، من نحو: "طلح منضود 15" وقراءة وطلع منضود .

الاختلاف بالتقديم والتأخير مثاله قوله تعالى: "فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ" ، 16 اذ قرأ حمزة والكسائي وخلف : فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ.

اختلاف اللغات – يعني اللهجات – من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك وهو كثير ومنه الإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: "هل أتاك حديث موسى" 17 ، قراها بالأماله حمزة والكسائي وخلف وقلها ورش عن نافع من طريق الأزرق وفتحها وقلها أبو عمرو البصري وفتحها الباكون من القراء.

الاختلاف في وجوه الإعراب كقوله تعالى: " نو العرش المجيدُ "18، برفع المجيد على أنه صفة لكلمة نو العائدة على " وهو الغفور الودود " ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالجر، على أنها صفة للعرش.

الاختلاف بالزيادة والنقص: مثاله قوله تعالى: " ومن يتولّ فإن الله هو الغني الحميد "19 فقد قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر : ومن يتولّ فإن الله الغني الحميد20 .

13 المؤمنون/ 8

14 سبأ/ 19

15 الواقعة/19

16 التوبة/ 111

17 النازعات/ 15

18 البروج/ 15

19 الحديد: 24

20 ينظر: التبيان في علوم القرآن ، محمد علي الصابوني – ط: دار الجيل : بيروت: 176 – 177

سبع جهات لا يتعدّاهما الكلام : لفظ خاصّ أريد به الخاصّ ، ولفظ عام أريد به العام ، ولفظ عامّ أريد به الخاص ، و لفظ خاص أريد به العام ، و لفظ يستغنى بتنزيله عن تأويله ، ولفظ لا يعلم فقهه إلا العلماء ، و لفظ لا يعلم معناه إلا الراسخون .

والأوجه في مظاهر الاختلافات ذو تعداد أكثر مما أسردنا ، وقد استفاض ببحثها علماء الأداء القرآني بشكل أغنى عن تعدادها في هذا المقام .

لكن المتحصل من تعداد معانيهم التي أوردوها في حديث الأحرف السبعة أن معنى هذه الأحرف السبعة غير واضح عندهم مع تعسّر فهمها لكثرتها وتشتّب فروعها مما احتاج مع ذلك إلى بحث واستقصاء قام به اللاحقون، من المحدثين 21، وقد مر أن الأحرف السبعة هي رخصة من النبي للتخفيف على الأمة ، وهذا قول يتناقض ومعنى الرخصة والتوسعة على الأمة، فقد فهموا معناها وعملوا بها، وحصل المقصود منها 22 .

وتعددت وجهات النظر التي يوردها القدماء في معنى الحديث، والتي بلغ بها السيوطي نحواً من أربعين قولاً، فإن الحديث -بمختلف رواياته- لا ينص على شيء منها وكذلك فإنه لم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه الأحرف، وكثير منها غير معروف النسبة إلى عالم معين وإنما هي مجرد استنتاج تحتمله الروايات ..

ثم إن فهم معنى الحديث لا يمكن أن يكون في اتجاهه الصحيح إذا تخطى الدائرة التي تشير إليها روايات الحديث 23، وهي أن الخلاف كان في حدود ألفاظ التلاوة، وأن الرخصة التي كان يتحدث عنها الحديث لا تتجاوز حدود القراءة ..

ومن هنا يمكن القول بأن الرخصة الواردة في الحديث ليست شيئاً سوى هذه الوجوه المختلفة للتلاوة التي ينقلها القراء جيلاً عن جيل حتى تنتهي إلى الصحابة الذين سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما استأنس به بعض المحدثين 24 ، والرأي الذي يبدو أنه منسجم ومتوافق والأحاديث الواردة في معنى الأحرف السبعة ، هو الذي توصل إليه الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، وهو أن الأحرف السبعة: (وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً . والعهد هنا مراد، بمعنى: أن أقصى حدّ يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير،

21 ينظر مثلاً: تاريخ القرآن ، د. عبد الصبور شاهين 36 .

22 القراءات وأثرها في علوم العربية د. محمد سالم محيسن، 26/1

23 ينظر: مجلة الفرقان العدد الثالث و الأربعون / آب 2005م بحث للدكتور محمد خالد منصور

24 رسم المصحف، غانم قدوري ، ص 142-144، وقريب منه ما ذكره الدكتور عبد العال سالم مكرم في : القراءات القرآنية

وأثرها في الدراسات النحوية، 27

ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع من القرآن(25)، وهذا رأي فيه نظر ، إذ إن التاريخ ينقل خبر عبد الله بن أبي السرح، الذي كان يكتب القرآن النازل بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله فيملي عليه :عزيز حكيم، فيكتب :عزيز عليم، ثم يقرأ عليه، فيقول: نعم سواء26، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، فقال: "إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلي!! وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، قال محمد: سميعة عليما، فقلت أنا: عليما حكيمًا " ، فأنزل الله في هذا الحدث قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا، أو قال أوحى إلي، ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)27.

ولعل رأي الدكتور قد سبق برأي صاحب الإبانة بقوله:(وإذا كان المصحف بلا اختلاف كتب على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن على لغة واحدة والقراءة التي يقرأ بها لا يخرج شيء منها عن خط المصحف فليست هي إذا هي السبعة الأحرف التي نزل بها القرآن كلها) 28 .

ولعمري ان الخلاف القديم الذي تسببت به رواية الأحرف السبعة هو عين ما اختلف عليه المحدثين من دارسي القراءات خاصة وعلوم اللغة والفقهاء بشكل عام ، إذ إن ابن الجزري نفسه كان في حيرة من معنى الأحرف السبعة وما فعله هو استعراض النصوص القديمة بتعليقات غامضة لا تدل على تبنيه رأيا خاصا بشأن معنى من معاني الأحرف السبعة ، وهكذا كان دأب القراء في طبقتهم .

ويتبين أن الأمر لا يعدو أن يكون رخصة من قبل النبي لخاصة من الناس وليس هو من قبيل السنة المتبعة29، قال السيوطي : (قال الطحاوي : وإنما كان ذلك رخصة..... يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ . وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون.

وفي فضائل أبي عبيد من طريق عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلاً (إن شجرة الزقوم ، طعام الأثيم) فقال الرجل : طعام اليتيم ، فردها فلم يستقم بها لسانه ، فقال أتستطيع أن تقول طعام الفاجر ؟ قال نعم ، قال فافعل (انتهى30

25 حديث الأحرف السبعة د. عبدالعزيز الفارئ، ص 78-79

26 والارجح ان قول النبي له :نعم سواء انما اراد به جهة المعنى لا جهة السند القرآني او المظهر الاسلوبي .

27 الانعام 93

28 الابانة عن معاني القراءات 33

29 ينظر :لطائف الاشارات 36/1

30 الاتقان في علوم القرآن 168/1

وعلى اعتبار أحاديث الجمع التي مر بحثها نجد في بعض الروايات أن عمر قد رخص بقراءة القرآن إلى سبعة أنواع وأكثر ، وذلك من جراء حديثه الذي قال فيه عن النبي الأكرم أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، ثم نسخ الخليفة عثمان هذه الرخصة وأوجب أن يقرأ القرآن بالحرف الذي كتب عليه مصحفه ..

وهو مفاد رواية الجمع المنسوبة إلى عثمان ، ونحن نقبل من الطحاوي وزملائه القول بالحرف الواحد الموحد الذي عممه الخليفة عثمان على البلاد الإسلامية ، وذلك لأن علياً عليه السلام أقر هذا العمل ، ولأن الأدلة تشير إلى أن نسخ مصاحفه متطابقة مع نسخة مصحف علي عليه السلام ، ولولا المطابقة ما سكت الإمام علي عن خطأ فادح في حق القرآن العظيم .

ولعل الرواية الأولى التي أوردناها عن اختلاف جماعة في القراءة حتى وصلوا إلى الرسول وكان علي بن أبي طالب عنده فسكت الرسول وغضب علي وقال للمتخاصمين " اقرؤا كما علمتم ، فان كان الناس قد علموا القراءة على أكثر من وجه فما بال عليا قد غضب لتخاصم الاثنين ، والأرجح أن الإمام عليه السلام إنما غضب لان المتخاصمين كانوا على غير هدى في قراءتهم وربما أن احدهما كان متجاوزا في القراءة على غير ما انزل الله تعالى ومستفيدا من التسهيل على بعض الناس وهو من قبيل الرخصة الخاصة وليست العامة لتشمل الجميع بان يقرأ على ما يتيسر على لسانه لغلبة اللهجة عليه ، ومن هنا كان الغضب من قبل الإمام في محله ، إذ إن الرخصة شيء والسنة الاقراية شيء آخر واغلب الظن أن احدهما كان قد جعل من الرخصة الخاصة سنة إقراء عامة تشمل جميع الناس ..

ومن خلال ما مر ذكره قد يحق لنا أن نستوضح الآتي :

أين صار حديث نزول القرآن على سبعة أحرف المنسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله ، وهذا عثمان قد كتب القرآن على حرف واحد ؟.

ثم إن الرواية تقول أن القرآن نزل من عند الله تعالى على سبعة أحرف ، لكن الذي يجب أن يقرأ منها في زمن النبي صلى الله عليه وآله وحده واحد كما يقرؤه النبي فقط، ثم يصير في زمن أبي بكر وعمر سبعة أحرف ، ثم يرجع في زمن عثمان الى حرف واحد .!!

ويحق لنا أن نستبين أيضا زمن رواية الحديث على وفق ما زعم نقلة أسانيده ، فالراجح ومن خلال رواة الحديث انه قد روي بعد الفتح ، ف (القرآن انزل على حرف قريش قبل

الفتح ثم انزل على أحرف سبعة بعده) 31 ، ومعلوم أن أكثر القرآن قد نزل قبل الفتح ، فكيف كانت القراءة قبلا وبعدا، وهل من الراجح أن يكون التسهيل على الأمة في وقت ثبوت الأمر للدين الإسلامي ، والعقل يحكم أن الصعب دوما يكون في أول الأمر ، إذ إن القرآن قد نزلت ألفاظه منجمة وعلى وتيرة واحدة من الفصاحة والسبك ودقة العبارة ، فلم تكن آيات الكتاب العزيز قبل الفتح أيسر منها بعده ، فلم يكن التسهيل على الأمة في موضع سهل على الأمة قبول القرآن والامتزاج مع أساليبه ومعانيه ، ولا يكون متاحا للتيسير والتسهيل في وقت كان الناس فيه حديثي العهد بالأسلوب القرآني وهم أحوج أن يكون القرآن متاحا للتسهيل في أول البعثة على وفق نظرية الأحرف السبعة 32.

ويبدو أن الرأي الراجح في حالة قبول الحديث وان كان جملة كبيرة من العلماء قد رفضوا الحديث على اعتبار أسانيده التي تعد في علوم الحديث رواية آحاد وليس مقطوع بتواترها ، أقول إن افتراضنا صحة الرواية فالرأي الراجح يتناسب مع توجيه الحديث القائل أن القرآن نزل على سبعة أحرف بمعنى : زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه 33

وقد يكون الوجه الآخر الذي يمكن أن تقبل عليه رواية الحديث هو تعلقه بالتركيب الأسلوبي أي بالعلاقات التي تؤثر على جمالية اللفظ دون تغير المعنى ، قال الفيض الكاشاني : (والحق : أن المتواتر من القرآن اليوم ليس إلا القدر المشترك بين القراءات جميعا دون خصوص أحادها إذ المقطوع به ليس إلا ذلك فإن المتواتر لا يشتبه بغيره وأما نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير أحسن القراءات كانت قراءة من كانت كالأخف على اللسان والأوضح في البيان والأنس للطبع السليم والأبلغ لذي الفهم القويم والأبعد عن التكلف في إفادة المراد والأوفق لأخبار المعصومين . فان تساوت أو أشبهت فقراءة الأكثرين في الأكثر.

ولا نتعرض لغير ذلك إلا ما يتغير به المعنى المراد تغييرا يعتد به أو يحتاج إلى التفسير وذلك لأن التفسير إنما يتعلق بالمعنى دون اللفظ وضبط اللفظ إنما هو للتلاوة فيخص به المصاحف ، وأما ما دونوه في علم القراءة وتجويدها من القواعد والمصطلحات فكل ما له مدخل في تبيين الحروف وتمييز بعضها عن بعض لئلا يشتبه أو في حفظ الوقوف بحيث لا يختل المعنى المقصود به أو في صحة الإعراب وجودته لئلا تصير ملحونة أو مستهجنة أو في تحسين الصوت وترجيحه بحيث يلحقها بألحان العرب وأصواتها الحسنة فله وجه وجيه 34).

31 الاحرف القرآنية السبعة د.عبد الرحمن المطرودي ، دار معالم الكتب للطباعة والنشر ط.1 الرياض 1991. 20

32 ينظر: البيان للحوثي 208/1

33 ينظر: الروض النضير في تحرير اوجه الكتاب المنير الشيخ محمد متولي ، تح.خالد حسن ابو الجود 2004م. 20

34 تفسير الصافي 62/1 " المقدمة الثامنة " وينظر : البيان للحوثي 205/1 وما بعدها

ومن نافلة القول أن نذكر علاقة الأحرف السبعة بالقراءات من جهة العدد وربما يعطي القول الآتي الانطباع على أن القراءات إنما اختيرت على غير فضل قارئها وسبقهم في العلم والدراية وهو ما يتحصل من قول صاحب فتح الباري : (وقال مكي بن أبي طالب: كان الناس على رأس المئتين بالبصرة (200هـ) على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع. واستمروا على ذلك. فلما كان على رأس الثلاثمائة (300هـ)، أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب. قال: والسبب في الاقتصار على السبعة -مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدراً، ومثلهم أكثر من عددهم- أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيراً جداً. فلما تقاصرت الهمم، اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به. فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، والاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كل مصر إماماً واحداً. ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وعاصم الجحدري وأبي جعفر وشيبة وغيرهم... 35)

وقد نقل ابن الجزري عن جمع من العلماء أنهم كرهوا ما فعله ابن مجاهد، فقال: (ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطئوه في ذلك) 36، بل إن عدد القراء والقراءات على ضابط الرواية وطرقها قد يتجاوز الجمع الغفير، كما صرح بذلك أئمة هذا الفن 37.

ومن هنا لا رأي لمن عد القراءات ذات عدد يتاح لمن قرأ بها ويشذ في قراءة من قرأ بخلافها على وفق الضابط في روايتهم، بل الأولى أن القرآن قد نزل بحرف واحد من عند الله تعالى وما اختلاف القراءات إلا مواضع من التسهيل أتاحت للبعض في ظروف خاصة على أنها رخصة خاصة وليست سنة إقراء تعم الناس جميعاً.. والله اعلم.

³⁵ ينظر: فتح الباري 31/9.

³⁶ ينظر: النشر في القراءات العشر 36/1

³⁷ لمزيد من التفصيل ينظر البيان للخوانساري 173-172/1